

سر العنصرة بحسب الأب يوحنا رومانيدس

الميتروبوليت ييروتثيوس فلاخوس

نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

أرسل المسيح الروح القدس المنبثق من الآب، بحسب تأكيده، في اليوم الخمسين بعد قيامته واليوم العاشر بعد صعوده إلى السماء. لقد أعلن المسيح نفسه للتلاميذ مسبقاً عن إرسال الروح القدس: "وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْآبِ فَيُعْطِيكُمْ مَعْرِيًّا آخَرَ لِيَمَكِّنَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ، رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَآكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ." (يوحنا ١٤: ١٦-١٧). بعد ذلك مباشرة قال: " وَأَمَّا الْمَعْرِي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الْآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ." (يوحنا ١٤: ٢٦) ولاحقاً كرر لهم: " إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ تُنْطَلِقَ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ تُنْطَلِقْ لَا يَأْتِيَكُمْ الْمَعْرِي، وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتَ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ." (يوحنا ١٦: ٧).

نزول الروح القدس على التلاميذ جرى في يوم الخمسين (أعمال الرسل ١: ٢-١٣). للعنصرة مكانة مهمة في حياة الرسل. فهم بعد أن اجتازوا تطهر القلب والاستنارة، وهو ما قد عرفه أيضاً الأنبياء والأبرار في العهد القديم، رأوا بعد ذلك المسيح القائم من بين الأموات، وفي يوم الخمسين أصبحوا أعضاء في جسد المسيح القائم من بين الأموات. لهذا الأمر أهمية خاصة إذ كان على كل رسول أن يحمل المسيح القائم من بين الأموات بداخله.

في العنصرة، الروح القدس جعل التلاميذ أعضاء في جسد المسيح الإلهي-الإنساني. في التجلي عمل النور من داخل التلاميذ الثلاثة، بالتمجيد، أما جسد المسيح فكان خارجهم، بينما في يوم الخمسين اتحد التلاميذ بالمسيح. أصبحوا أعضاء في الجسد الإلهي، وكأعضاء في جسد المسيح هم يشاركون في النور غير المخلوق. هذا الاختلاف قائم أيضاً بين العهد القديم والعنصرة. "كل الذين رأوا مجد المسيح قبل الصعود رأوه مرتين. من ناحية كانوا مغمورين بالسحابة، لأن 'بنورك نعاين النور' (مزمور ٣٥ [٣٦]: ١٠). كانت تغمرهم السحابة المنيرة، وكونهم في النور غير المخلوق، فهم يعاينون النور غير المخلوق. ومع ذلك، فإن طبيعة المسيح البشرية هي أيضاً مصدر النور، كما في التجلي. طبيعة المسيح البشرية هي مصدر نور رآه الرسل، لأنهم داخل النور كما هم ممجدون. وهذا معنى 'بنورك نعاين النور'. تظهر حقيقة أنهم داخل النور في أنهم كانوا مغمورين بالسحابة المنيرة، كما بمعابنتهم طبيعة المسيح البشرية كمصدر للنور. كان النور يشع من الداخل، أما من الجسد فكان يشع من الخارج. أشرق النور من الداخل، أما من جسد المسيح الذي ينقل النور، نفس النور، كان في الخارج. ولكن ابتداءً من العنصرة، صارت طبيعة المسيح البشرية ترسل النور 'الآن من الداخل'. لذلك لا يوجد اختبار للنور من الخارج، ما

لم يكن هناك أيضًا اختبار للمسيح من الداخل. أصبح الاثنان مترابطين الآن. بعبارة أخرى، أصبح أحدهما الآن هو نفسه الآخر.

لماذا كان ضرورياً حدوث الصعود ونزول الروح القدس؟ ما كان الغرض؟ لماذا نقول أن الكنيسة تأسست في يوم الخمسين؟ لم تتأسس الكنيسة في يوم الخمسين. تأسست الكنيسة منذ أن دعا الله إبراهيم والآباء والأنبياء. تأسست الكنيسة منذ ذلك الحين. الكنيسة موجودة في العهد القديم. الكنيسة موجودة حتى في الجحيم. ولكن هنا تأخذ الكنيسة هيئة: تنشأ الكنيسة بمعنى أنها من الآن فصاعداً مثبتة كجسد المسيح".

هذه نقطة مهمة لأنها تظهر أن العنصرة هي عيد ميلاد الكنيسة كجسد المسيح، وأيضاً أن جميع الذين اتحدوا بجسد المسيح يتغلبون على الموت. "في العهد القديم توجد مصالحة وصدقة مع الله وتمجيد. كل شيء موجود في العهد القديم، والفرق هو أنه لم يكن هناك العنصرة. الكنيسة موجودة في العهد القديم ولكن تحت سلطان الموت. ما هي العنصرة؟ إنها إعلان كل الحقيقة. في العنصرة، أصبحت الكنيسة جسد المسيح، ولهذا نحتفل في يوم الخمسين أيضاً بعيد ميلاد الكنيسة التي قامت في المسيح".

"في يوم الخمسين يأتي المسيح في الروح القدس. قوى الله حاضرة في العالم وكل من هو في شركة مع قوة الله يدرك أن الله من خلال قواه ينقسم بشكل لا ينفصل ويتضاعف دون أن يتعدد. وبالتالي، فإن الإنسان الذي في شركة مع الله ليس لديه جزء منه. الله كله حاضر في كل إنسان وموجود في كل مكان في جميع أنحاء العالم.

في العنصرة تعود طبيعة المسيح البشرية من حينه فصاعداً إلى الكنيسة. هذا هو اليوم الذي تأسست فيه الكنيسة، لأن طبيعة المسيح البشرية الآن منقسمة من غير انفصال، والمسيح كله بطبيعته البشرية موجود في كل مؤمن.

هذه هي الكنيسة حيث كل مؤمن هيكل. ليس فقط هيكل للروح القدس، بل أيضاً جسد المسيح الذي فيه كل المسيح. هذه هي الطريقة الجديدة التي تتواجد بها طبيعة المسيح البشرية في العالم. هذا هو سبب أن عيد العنصرة يعتبر أيضاً اليوم تأسيس الكنيسة. كل من بلغ التمجيد يشترك في خبرة عيد العنصرة هذه. لدينا أمثلة في الكتاب المقدس نفسه: كل الذين رأوا المسيح بعد القيامة، وأولئك الذين عاينوا المسيح منذ العنصرة وحتى اليوم".

العنصرة يُدعى "العيد الأخير" لأنه المرحلة الأخيرة من تجسد المسيح. التغيير العظيم الذي يجري الآن هو أن الممجدين يتحدون بالروح القدس مع المسيح الإله-الإنسان. "المرحلة الأخيرة ذات الفاعلية كانت العنصرة. هناك تم التغيير العظيم. ففيما كان الروح القدس قد سكن في الأنبياء إذ إن الأنبياء

اقتنوا روح الله والصلاة النوسية والتمجيد، فابتداءً من العنصرة تحصل سكنى الروح القدس هذه في من قد تلقى الوحي الإلهي مع طبيعة المسيح البشرية أيضاً. لهذا السبب، الكنيسة الآن هي جسد المسيح. بتعبير آخر، تصير الكنيسة جسد المسيح في يوم العنصرة، والمسيح كإنسان يسكن في داخل الإنسان. هذا يعني الاشتراك الدائم منذ الآن في مجد الله. عندنا الآن تمجيد دائم، لا مؤقتاً، كما كان للأنبياء الذين بلغوا التمجيد، حين كان مجداً عابراً وكانوا يموتون. الآن الممجدون لا يموتون. هذا هو الفرق. الفارق في خبرة العنصرة هو أن الكنيسة تصير جسد المسيح في يوم العنصرة، كما تجعل الممجّد مستداماً".

ابتداءً من يوم العنصرة صار لكل واحد في جسد المسيح أن يشارك في الله من دون أن يكون الله مشتركاً. إن حضور الله فعّال. "إن سر حضور الله في العالم، كما وصفه الآباء، هو أن قوة الله غير المخلوقة مقسّمة بشكل لا يتجزأ بين الكائنات المنقسمة. يتم مشاركتها مع كل واحد، ولكن دون تقسيمها بين كيانات منفصلة. هذا يعني أنه يتم مشاركتها مثل القربان في القداس الإلهي حيث نقول: 'يُجْزَأُ ولا ينقسم، ويؤكل دائماً ولا ينفد' وهكذا. هذا بالضبط نفس الشيء. ما يحدث في القداس الإلهي في ما يتعلق بجسد المسيح هو بالضبط ما يحدث بقوة الله أيضاً. فهي مقسّمة بشكل لا يتجزأ بين الأفراد. عندما يكون الشخص الممجّد في شركة مع قوة الله غير المخلوقة، فلن يكون فيه جزء من الله، وكأن الله يمكن أن ينقسم إلى أجزاء ليكون لكل منا نصيب من الله، لأن الله لا يمكن تقسيمه. ومع ذلك فهو منقسم ومضاعف ولكن دون أن يتكاثر.

هذه التناقضات ليست مجرد كلام. هذا هو سر حضور الله في العالم. الله بكليته كلي الوجود، في كل شيء، في كل مكان، دون انقسام، وهو يتجزأ ولا ينقسم. هذا هو السرّ. هذا الشكل لحضور الله في العالم، ولا سيما في الممجدين، يبدأ لأول مرة من الصعود والعنصرة.

عندما يعود المسيح إلى الكنيسة بالروح القدس في يوم الخمسين، تشترك طبيعة المسيح البشرية الآن في هذه الخاصية المتمثلة في الانقسام بين الأفراد من دون تجزؤ. لهذا السبب، عندما نتناول القربان المقدس في الإفخارستيا الإلهية، لا يأخذ المرء الإصبع، والآخر القدم، أو الأنف أو الأذن، بل في الإفخارستيا الإلهية، يتقبّل كل فرد المسيح كلّ بداخله.

هذا هو سر العنصرة، ولهذا السبب تُعبّر العنصرة عيد ميلاد الكنيسة. إنها كنيسة العنصرة التي تؤد، رغم أن الكنيسة كانت موجودة في العهد القديم. الكنيسة، بمعناها الكامل، هي الكنيسة غير المخلوقة، مجد الله، المسكن غير المخلوق حيث يسكن الله وحيث يجب أن نبقى أيضاً. هذا المسكن يتكاثر فتوجد منازل كثيرة كما يقول المسيح في العهد الجديد. يوجد مسكن واحد، ولكن هناك العديد من المنازل. لماذا؟ لأنها مقسّمة بشكل لا يتجزأ بين الأفراد. هذا هو سرّ العنصرة."

إلى هذا، في يوم العنصرة بلغ التلاميذ "جميع الحق". قبل آلامه، قال المسيح لتلاميذه: "إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لَأَقُولَ لَكُمْ، وَلَكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الْآنَ. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحَ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ" (يوحنا ١٦: ١٢-١٣).

كلمات المسيح هي عن مجيء الروح القدس في يوم العنصرة، مع الكشف عن جميع الحق، الذي لم يكن التلاميذ بعد مؤهلين لحمله؛ فهم لم يكونوا قادرين على تقبله قبل ذلك من دون الروح القدس. "جميع الحق" هذا الذي أعلن للتلاميذ في يوم العنصرة هو حقيقة الكنيسة كجسد المسيح: أي أن التلاميذ سوف يصيرون أعضاء هذا الجسد القائم وأن في الكنيسة هم سوف يعرفون أسرار مجد الله وملكه في جسد المسيح. لقد عرفوا جميع الحق في يوم العنصرة. يتبع هذا أن الحق الكامل لا يوجد خارج الكنيسة. الكنيسة عندها الحق، لأنها جسد المسيح وجماعة تمجيد.

"إلى جانب تعاليم المسيح ومعجزاته، لدينا أيضًا نوع آخر من الإعلان، وهو جوهر تعليم الكتاب المقدس عن الإعلان. فيما المسيح يعلم الرسل ويجهزهم، يصل إلى النقطة التي أخبرهم فيها أن لديه أيضًا أشياء أخرى ليعلمها لهم، لكنهم لا يستطيعون تحملها في حينه. ومع ذلك، عندما يأتي روح الحق، سوف يرشدهم إلى جميع الحق (يوحنا ١٦: ١٣). في التقليد الأبائي، كلمات 'سوف يرشدكم إلى جميع الحق' تحققت في يوم الخمسين، لذلك في ذلك اليوم ينكشف 'جميع الحق'. وهذا يعني أن المسيح نفسه (قبل قيامته) لم يكشف كل الحق للرسل. لما لا؟ لأنهم لم يكونوا يستطيعون تحمل كل الحقيقة. لم يكونوا مستعدين بعد بشكل كافٍ."

هذه الحقيقة التي كشفها الروح القدس للتلاميذ يوم الخمسين هي أن الكنيسة هي جسد المسيح وأن التلاميذ سيصبحون أعضاء في جسد المسيح. لا توجد حقيقة أخرى فوق تلك الحقيقة. "هذه هي مفتاح التفسير الأبائي، أنه سيرسل معزياً آخر، 'يرشدكم إلى جميع الحق'. ما هذا 'جميع الحق'! في العهد القديم لدينا المسيح غير المتجسد الذي ظهر. بعد ذلك لدينا المسيح المتجسد، المُعلن والذي يُظهر نفسه من خلال الكلمات البشرية، ولكنه أيضًا مُعلن من خلال مجده لبعض الرسل من التلاميذ. ثم نأتي إلى القيامة. وبعد القيامة أستعلن في المجد لتلاميذه والنساء وغيرهم. عندنا كل هذه الظهورات للمسيح بعد القيامة. في وقت لاحق عندنا الصعود، وبعد ذلك عندنا العنصرة.

الآن، في العنصرة، عندنا تغيير في الكنيسة. الكنيسة في العهد القديم هي شعب الله، وهي مكونة من أولئك الذين يمرّون بالتطهر ويبلغون الاستنارة. بعضهم يصلون إلى حدّ التمجيد ويصبحون قادة لإسرائيل وأنبياء وبطاركة. عندنا نفس الشيء في العهد الجديد حتى الصعود. بعد ذلك يحدث شيء يعطي كنيسة العهد القديم والعهد الجديد، حتى ذلك الحين، بُعدًا جديدًا.

قبل ذلك ، كان الله مؤزَعاً بشكل لا ينفصل بين أناس منفصلين، مما يعني أنه يظهر لكل إنسان ممجّد كالله في ملئه، في مجده. الأنبياء ليسوا في شركة مع جزء من الله، لأن الله ليس مجزأً، بل منقسماً لا ينفصل بين الكائنات المنقسمة. إذن لدينا هذا السر المتناقض فيما يتعلق بحضور الله في العهد القديم. في كل عمل يضاعف فيه الله نفسه، دون أن يتكاثر، يكون الله حاضرًا بالكامل في كل عمل. إنه حاضر بقوة، لكنه غائب بحسب الجوهر. حاضر بمشيئته ولكنه غائب في الجوهر. إنه غائب وحاضر. مقسّم وغير مجزأ. كامل في كل حالة، وهو نفسه في كل مكان.

في العنصرة، تم توزيع قوى الروح القدس، بحيث أنّ كل قوة الروح القدس حاضرة في كل رسول. لسان لكل رسول. ولكن مع حلول الروح القدس، نشهد أيضًا نزول المسيح. وهذا يعني أن الأمر هو مثل تجسدٍ ثانٍ. الكنيسة تتحوّل إلى جسد المسيح.

لذلك فإن من يتقدّم من التطهّر إلى الاستنارة في الوقت الحاضر ليس هيكلًا للروح القدس وحسب، كما كان الحال بالنسبة للأنبياء في العهد القديم. إنه ليس كنيسة وحسب كهيكلٍ لله، بل هو أيضًا كنيسة كمسكن لطبيعة المسيح البشرية. كل مؤمن في حالة الاستنارة يقتني المسيح كلّ بداخله. ولهذا السبب عندنا انعكاس هذه الحقيقة في سرّ الإفخارستيا الإلهية، عند تحوّل الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه، حيث يكون المسيح كاملاً في كل جزيئة من الخبز والخمر المقدّسين. لا يتناول المتناول نثرةً من المسيح أثناء المناولة المقدّسة بل يأخذ المسيح كاملاً في داخله. لهذا نقول: 'حمل الله الذي يُجزأ ولا ينقسم، ويؤكل دائماً ولا ينفد'.

هذه الصلاة التي يقرؤها الكاهن في القداس الإلهي، هي مفتاح سرّ العنصرة. هذه هي 'جميع الحق'، والتي تم الكشف عنها الآن. بعد هذا الكشف عن الحقيقة، لم يُكشف أي شيء آخر. أي في العنصرة انكشف سر الكنيسة ببعدها الجديد. هذا ما تمّ إعلانه ولا شيء آخر. إذًا، كلمات 'سوف يرشدكم إلى جميع الحق' قد تحققت في العنصرة. لذلك، في تفسير الآباء، تحققت الإصحاحات ١٥ و ١٦ و ١٧ من يوحنا في العنصرة. هذا هو التفسير الأبائي المتعلّق بالعنصرة."

"بحسب آباء الكنيسة، فإن 'جميع الحق' في يوم العنصرة يشير أيضًا، بالطبع، إلى الإعلان عن أن الروح القدس هو أقنوم، وأن له أقنومه الخاص، كما للآب والكلمة. بالإضافة إلى ذلك، فإن حقيقة أن جسد المسيح، الذي كان في الخارج وكُشف للناس من الخارج، هو جسد المسيح في الداخل ابتداءً من يوم الخمسين. جسد المسيح نفسه داخل الإنسان. في التجلي كان الجسد في الخارج. الإعلان يأتي من الداخل أيضًا، لكن الجسد في الخارج. لكن الآن الجسد في الداخل. والسبب في اعتبار العنصرة عيد ميلاد الكنيسة هو أن الكنيسة أصبحت ابتداءً من ذلك الحين جسد المسيح. بكلمات أخرى، المسيح يسكن داخل المؤمنين كإنسان أيضًا. إذًا تأسس الكنيسة هو من وجهة النظر هذه.

يمكننا أن نلخص بالقول أن لدينا وحيًا كاملاً في العهد القديم. إذ في العهد القديم هناك إعلان عن الحق من وجهة نظر عقيدة الثالوث الأقدس. في وقت لاحق لدينا الوحي في المسيح التجسد. بعد ذلك ظهر لنا إعلان ألوهية المسيح، عندما أعلن المسيح نفسه، ليس فقط بالكلمات والأقوال والمعجزات، بل أيضًا من خلال الكشف عن ألوهيته من خلال خبرة التمجيد. وبالتالي، الشكل النهائي للإعلان هو العنصرة، حيث لا يضيء النور داخل الإنسان فحسب بل تشرق أيضًا طبيعة المسيح البشرية في أولئك الذين يبلغون خبرة التمجيد. ابتداءً من العنصرة، كل من يبلغ الكمال يمرّ بمراحل التطهير والاستنارة، وعندما يبلغ التمجيد يصل إلى نفس الخبرة الرسل في يوم الخمسين، طبعاً بدرجات متفاوتة".

"اللمسة الأخيرة لتعليم إنجيل يوحنا موجودة في عيد العنصرة، حيث التحقيق الأسمى لإنجيل يوحنا. بعد ذلك تأتي اللمسة الأخيرة للعنصرة في أحد جميع القديسين الذي هو ثمرة العنصرة التي هي أن أعضاء الكنيسة يصيرون قديسين. نتحدث الآن عن أن نصبح قديسين كما لو أن الأمر هو لعدد قليل من الرهبان غير العاديين. في تلك الأيام كان على الأكيد هدف جميع المسيحيين: التقدم من التطهر إلى الاستنارة وما إلى ذلك. هذا هو السياق الذي فيه يخبرنا آباء الكنيسة أن الروح القدس 'سيرشد... إلى جميع الحق'، وأن هذا قد تحقق في العنصرة. كل ما علمه المسيح قبل الآلام في الأصحاحات ١٤ و ١٥ و ١٦ من يوحنا قد تم الآن".

من يعرف المسيح "وجهًا لوجه" بالخبرة وقد اقتنى صلاة داخلية مستمرة، يقرأ العهد القديم ويرى المسيح في كل مكان، ويرى أن للأنبياء خبرة في الصلاة الروحية ومعاينة ملاك الرأي العظيم، ملاك المجد. وهو قادر على تفسير العهد القديم.

"المهم هو أنه منذ العنصرة، إذ تشترك طبيعة المسيح البشرية في قوة الله التي تنقسم بشكل لا ينفصل بين الأفراد، يسكن المسيح كله في كل مؤمن، ولكن فقط إذا كان المسيح قد 'تشكل' فيه. يستخدم الرسول بولس هذا المصطلح. المسيح 'مُشكّل' في كل واحد. هذا يتم من خلال الصلاة. يترتب على ذلك أن هذا قد اقتنى المسيح في داخله وهو هيكل للروح القدس. إنه جسد المسيح ويشترك في عطية نعمة العنصرة. لهذا السبب، أي لأنه يعرف المسيح شخصيًا بداخله وهو هيكل لله، فإنه يقرأ العهد القديم ويفهمه. لأنه يرى ما رآه الأنبياء. الكل عنده إمكانية هذا الاتصال الشخصي مع المسيح، ولكن من خلال الصلاة. إنها موهبة نبوية".

لكن في اللاهوت الغربي، فسّرت كلمات المسيح بأن مجيء الروح القدس سيكشف لهم "كل الحقيقة" بشكل مختلف.

"في التقليد الأوغسطيني، فسّر أوغسطينوس هذا المقطع من يوحنا، أي ما يقوله المسيح للرسل، على أنه لا يعني فقط أن الفرد يُقاد 'إلى جميع الحق'، بل أن الكنيسة أيضًا تُقاد تدريجيًا إلى الحقيقة

الكاملة. بالنسبة للآباء، اقتيد الرسل 'إلى جميع الحق' في العنصرة عندما اكتمل الوحي، ولا شيء غير العنصرة. كل من يبلغ التمجيد ينقاد إلى كل الحقيقة، لأنه يشارك في خبرة تمجيد عيد العنصرة. هذا يعني أن عمل اللاهوتيين في الكنيسة لا يهدف إلى تحسين تعليم الكنيسة أو الخوض فيه بشكل أعمق، كما يفترض المسيحيون البابايون وبعض البروتستانت، بل هو شيء مختلف تمامًا."

"هذه المشكلة برمتها حول تعميق فهم الكنيسة للإيمان بالتدريج هي الخط الذي اتخذته الكنيسة البابوية. إذ بحسبها، مع مرور الوقت تتوصل الكنيسة نفسها إلى فهم أفضل للإيمان. ولكن بالنسبة لنا، فإن أعمق فهم للإيمان الذي يفوق الفهم هو العنصرة."

"لدينا العنصرة عندما أعلن عن 'جميع الحق'. ليس هناك 'نبوءة' عن الأشياء القادمة؛ منذ ذلك الحين، النبوءة صارت تفسير نبوءة الأنبياء. ولكن ما الذي يحتاجه المرء لكي يفسر الأنبياء بشكل صحيح؟ الصلاة النوسية."

"ما من فهم يتخطى العنصرة. كل تمجيد هو تكرار للعنصرة في الكنيسة. وتتجاوز تجربة العنصرة هذه الفهم، وتتجاوز الكلمات والمفاهيم، لأنه في هذه الخبرة تُلغى كل الكلمات والمفاهيم، وإن لم يكن ذلك بمعنى محوها، إذ تظل الكلمات والمفاهيم شكلاً من أشكال التعبير. من يتمجد يقتني معرفة تفوق المعرفة، لكنه يستخدم الكلمات والمفاهيم في التحدث إلى الآخرين."

"ما من فهم أعمق من خبرة العنصرة هذه. في الأساس، خبرة العنصرة تفوق الفهم والتعبير. أكرر ما يقوله القديس غريغوريوس اللاهوتي: 'من المستحيل التعبير عن الله بل والأكثر استحالة تصوره'. إن الذين اختبروا العنصرة والتمجيد لا يعبرون عن الله ولا يفهمون الله، لأن الخبرة تتجاوز الفهم والتعبير. مع ذلك، يتم التعبير عن العنصرة، بمعنى أننا بالرغم من عدم نقلنا الإعلان للآخرين، لأن هذه الخبرة هي إعلان، فإننا ننقل أشياء عن الإعلان."

نقطة أخرى مهمة على ارتباط بسر العنصرة هي صلاة المسيح للآب لكي يكتب التلاميذ الوحدة فيما بينهم. يقول المسيح في صلاته الكهنوتية الكبرى: "لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا نَحْنُ" (يوحنا ١٧: ١١). في مكان آخر يقول، "قَدْ أُعْطِيتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أُعْطِيتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ" (يوحنا ١٧: ٢٢). إلى ذلك يصلي: "أُرِيدُ أَنْ هُوَلاءِ الَّذِينَ أُعْطِيتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيُنْظَرُوا مَجْدِي الَّذِي أُعْطِيتَنِي" (يوحنا ١٧: ٢٤). بالطبع، بمعانيتهم هذا المجد يصبحون كاملين: "لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَيَّ وَاحِدٌ" (يوحنا ١٧: ٢٣).

"أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنْ هُوَلاءِ الَّذِينَ أُعْطِيتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيُنْظَرُوا مَجْدِي الَّذِي أُعْطِيتَنِي، لِأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ" (يوحنا ١٧: ٢٤). 'حيث أنا' كما قال سابقاً 'أمضي لأعدكم مكاناً' (يوحنا ١٤: ٢). هذا المكان هو مجد الله. لذا فالمجد الذي أعطيته لهم، المجد الذي تلقوه بالفعل، يشير

إلى شيء مختلف. بعد ذلك يتحدث عن المكان: حيث سأكون هم أيضًا سيكونون. ماذا يعني هذا؟ ليروا مجدي الذي اعطيتني. لأنك أحببتني قبل تأسيس العالم. 'لقد نال الرسل المجد في الماضي، لكنهم سيرون المجد في المستقبل. لقد نالوا المجد، لكنهم سيرون المجد. بعبارة أخرى، لقد وصلوا إلى النور وسيتقدمون إلى التمجيد".

"المسيح يصلي هذا من أجل المستقبل. الآن، يؤمن كل شعبنا والبروتستانت أنه يصلي من أجل وحدة الكنائس. لا علاقة بين الأمرين. إنه يصلي للتمجيد. إنها صلاة تمجيد. 'ليكونوا واحدًا كما نحن' (يوحنا ١٧:١١). بما أن هناك مجد واحد، فسيكونون أيضًا متحدين فيما بينهم، حيث سيكون لديهم نفس المجد. لذا إننا جميعًا نصبح واحدًا مع بعضنا البعض، وواحدًا مع الله، لأننا جميعًا، نحن والثالوث الأقدس، نتمتع بنفس المجد. هذا يعني الوحدة في مجد الله."

في العنصرة، رأى الرسل مجد الله كأعضاء في جسد المسيح، إذ أصبحوا في الروح القدس، ونالوا مواهب الروح القدس. تلقى الرسل السنة النار ونالوا موهبة التعليم. تحدثوا إلى الناس وسمع الناس التعليم المُعلن بلغتهم الخاصة.

"في العنصرة، حصل الرسل أولاً على موهبة الألسنة ثم تكلموا. نزل لسان كامل، نعمة الروح القدس، على كل واحد من الرسل. بعد ذلك، كانت نتيجة هذه الموهبة أنهم تحدثوا ووعظوا الناس. لم يَرِ الشعب الألسنة. تلقى الرسل الألسنة وتحدثوا إلى الشعب. لقد فهم الجميع، كلُّ بلهجته الخاصة، حتى باللغة العربية، ما كان يقوله الرسل. كل واحد سمع بلغته. يكتب الرسول بولس لأهل كورنثوس 'لأنَّ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِلسانٍ لا يُكَلِّمُ النَّاسَ بِلِلهِ، لأنَّ لَيْسَ أَحَدٌ يَسْمَعُ، وَلَكِنَّهُ بِالرُّوحِ يَتَكَلَّمُ بِأسْرَارٍ' (١ كورنثوس ٢:١٤). يبدو أنه حتى في العنصرة لم يسمع أحد موهبة اللسان التي حصل عليها كل رسول، لكنهم سمعوا كرازة الرسول وفهموها بلغتهم".

إن خبرة العنصرة هي أعظم خبرات المعاينة الإلهية.

"إن خبرة العنصرة هي أسمى خبرة تمجيد قبل المجيء الثاني. لا يوجد شيء يسمو على العنصرة". "لماذا في اللاهوت الأرثوذكسي لا يمكن أن يكون هناك إعلان آخر بعد العنصرة، فالإعلان انتهى مع العنصرة ولا توجد إعلانات أخرى؟ في كل مرة يبلغ فيها إنسان إلى خبرة التمجيد، تتكرر نفس تجربة العنصرة. يمكن أن يصل الإنسان إلى خبرة العنصرة فلا يعود له أن يصل إلى أي خبرة أخرى، لأن الإعلان ينتهي: كل الحقيقة تُعلن في العنصرة".

نقطة أخرى مهمة مرتبطة بسر العنصرة هي أنه على الرغم من أن خبرة العنصرة هي حدث فريد في تاريخ الكنيسة، فإن الأشخاص المستوفين للمتطلبات الأساسية المناسبة يصعدون إلى نفس ارتفاع خبرة العنصرة. وهكذا يتكرر سر العنصرة عبر القرون.

"بعد العنصرة، تكون كل خبرات التمجيد على عيار: أعلى أو أدنى في إطار خبرة العنصرة. تتكرر نفس الخبرة دائمًا في الممجدين عبر حياة الكنيسة. تنتج هذه الخبرة آثارًا مقدسة وعبادة وتفانيًا كاملاً للكنيسة الأرثوذكسية التي أخشى أن المؤمنين البسطاء يفهمونها أفضل من بعض اللاهوتيين على الأقل. أولئك الذين يشعرون بتوقير الرفات يفهمون أو يشعرون بشيء من ظاهرة الرفات المقدسة هذه. هذا التكرار لخبرة العنصرة في تاريخ الكنيسة هو العمود الفقري لكل من التاريخ الكنسي وتاريخ العقائد في الكنيسة الأرثوذكسية."

"بحسب تقليد آباء الكنيسة، تتكرر خبرة العنصرة هذه حتى بعد العنصرة. المثال الأول عندنا هو من الكتاب المقدس، في حالة كرنيليوس، الذي نال موهبة الألسنة وتمجيد العنصرة، ولهذا السبب عمده بطرس. عندما استدعي من قبل العبرانيين المحافظين، وصف خبرة كرنيليوس، إذ أنه قبل أن يعتمد كان لديه "نفس موهبة" الرسل (أعمال الرسل ١٧:١١). يخبرنا الرسول بطرس نفسه أن كرنيليوس، قبل أن يعتمد، كان يتمتع بنفس النعمة التي كان يتمتع بها الرسل في يوم العنصرة. أود أن أطلب منكم أن تأخذوا سفر أعمال الرسل وأن تقرأوا بعناية شديدة ما تقوله عن عيد العنصرة والفصلين اللذين يشيران إلى كرنيليوس، لتروا أنهما متماثلان (انظر أعمال الرسل ١٠-١١).

يشهد الكتاب المقدس أن هناك عنصرة بعد العنصرة، وهي في حياة الذين يصلون إلى التمجيد. عبر تاريخ الكنيسة، لدينا أمثلة لا حصر لها عن أشخاص وصلوا إلى نفس خبرة عيد العنصرة التي وصل إليها الرسل وكرنيليوس وغيرهم.

من وجهة نظر جغرافية، لا تحدث هذه الأشياء في الشرق فحسب، بل في الغرب أيضًا، لأن خبرة العنصرة موجودة أيضًا في الغرب، على الأقل حتى العصور الوسطى. إذا كنت تريد أن ترى أمثلة على ذلك، فخذ أرواح القديسين، وخاصة أولئك الذين تم حفظهم من عصر الفرنجة الميروفنجي في دول الغرب البابوية. ليس لدينا هنا شهادة يوحنا كاسيان فحسب، بل أيضًا شهادة غريغوريوس الذي من تور، الذي كتب العديد من سير القديسين فيها يمكن رؤية خبرة التمجيد هذه بوضوح. لدينا أيضًا أمثلة لأناس في الغرب وصلوا إلى هذه القداسة فحفظت أجسادهم. وهكذا لدينا رفات مقدسة وكل ما ينتج عن خبرة التمجيد. نلاحظ ظاهرة غريبة متمثلة في أنه على الرغم من وجود ذخائر مقدسة في الغرب، إلا أن لدينا على النقيض من ذلك، لاهوت فرنجة العصور الوسطى السكولاستي الذي لا يتوافق أبدًا مع خبرة التمجيد هذه."

"بما أن كل اختبار للتمجيد هو تكرار للعنصرة، وقد وصل في كل عصر أناس إلى هذه الخبرة، فمن وجهة النظر هذه، من هم قديسو الكنيسة هؤلاء، وما هو أسمى فهم للأرثوذكسية؟ إن لم يكن العنصرة، فما هو؟ بابا روما؟ أم أنه بروتستانتني لا فكرة لديه عن ماذا يتحدث ومن يفسر الكتاب المقدس؟"

من المؤكد أن خبرة العنصرة هي سرّ ولا علاقة له بالعقل. "اللاهوت الأرثوذكسي دائري الشكل. إنه مثل الدائرة. حيثما تلمس الدائرة، تتعرف إلى الدائرة بأكملها، لأن الدائرة كلها هي الشيء نفسه. كل شيء يقود إلى العنصرة: أسرار الكنيسة، كالكهنوت والزواج والمعمودية والاعتراف وما إلى ذلك، وقرارات المجامع وما إلى ذلك. هذا هو مفتاح اللاهوت الأرثوذكسي: العنصرة. لذلك من يصل إلى التمجيد بعد العنصرة يُقاد 'إلى جميع الحق'.

ما هو 'جميع الحق'! إنه شيء يتجاوز عقل الإنسان. إنه يشمل طبيعة المسيح البشرية ويسكن في الشخص الذي بلغ الاستنارة والتمجيد. كل سر التجسد والثالوث الأقدس، في ما يتعلق بالنعمة الإلهية، وشفاء الشخصية البشرية، والخلص في الماضي في العهد القديم، والمستقبل والمجيء الثاني: كل هذه الأشياء تندرج في سر العنصرة. لهذا السبب، اللاهوت الأرثوذكسي بسيط للغاية. إنها مسألة مختلفة أن تقتضي الضرورة، عند التعامل مع الهرطقة، أن يكون المتحدث نيابة عن الأرثوذكسية على دراية بالهرطقة وذا معرفة جيدة بالفلسفة وما إلى ذلك. لكن هذا ليس جوهر اللاهوت الأرثوذكسي. جوهر اللاهوت الأرثوذكسي هو التطهر والاستنارة والتمجيد."

"لا يوجد فهم ما بعد العنصرة. من المؤكد أن القوة العقلانية تشارك في هذه الخبرة - فالجسد يشارك - ولكن الله وتجسد المسيح وطبيعته البشرية، التي هي مصدر النور الناتج عن تجسد الكلمة في الطبيعة البشرية: كل هذه تبقى أسرارًا. لا يمكن فهمها فلسفياً أو تخمينياً."

لأن خبرة التمجيد والعنصرة تستمر عبر القرون، فإن العنصرة هي أيضاً أساس التاريخ الحقيقي للكنيسة. عندما يكون هناك قديسون في أي عصر يبلغون التمجيد في خبرة العنصرة، يكون هذا العصر عصراً "ذهيباً" للكنيسة.

"عندما يبلغ أرثوذكسي النور، فإنه يشارك بالفعل في نتائج خبرة التمجيد. الاستنارة تعطي لمحة مسبقة عن هذه الخبرة، وهي تتكامل عندما يبلغ التمجيد. لذلك في رأيي يمكن وصف 'العصر الذهبي' على النحو التالي. عندما يبلغ غالبية المسيحيين الاستنارة وتنقية القلب، ومنهم يبلغ الكثيرون أيضاً التمجيد، يكون لدينا "عصر ذهبي". إذن هذا هو المعيار للحكم على موقعنا. هل كان المسيحيون في هذا الموقف في القرون الأولى؟ كانوا بالتأكيد. وتشهد على ذلك كثرة رفات الشهداء التي لدينا من تلك الحقبة."

وبالتالي، فإن مركز العنصرة-الإعلان هو المسيح الذي اختبره الأنبياء كغير متجسد واختبره الرسل والآباء متجسداً. هذا هو جوهر التقليد الأرثوذكسي.

Source: Metropolitan Hierotheos of Nafpaktos. **Empirical Dogmatics of the Orthodox Catholic Church. According to the Spoken Teaching of Father John Romanides. "The Mystery of Pentecost". Volume 2. 2013.**